المحاضرة الثانية عشر: الخطاب ومناهج التحليل: الأسلوبي

تتناول هذه المحاضرة المنهج الأسلوبي كأداة نقدية ولغوية محورية، تهدف إلى الكشف عن السمات المميزة للاستخدام اللغوي في أي نص عبر دراسة العلاقة الوظيفية بين الشكل اللغوي والتأثير الدلالي .سنغوص في مفهوم الأسلوبية من خلال مفاهيمها الأساسية كـ الاختيار والانزياح، لنفهم كيف ترتبط هذه الآلية الدقيقة بتحليل الخطاب على مستوياته المختلفة، من الصوتي إلى النصي، ووفقاً لمرجعيات روادها المؤسسين.

أولا-مفهوم المنهج الأسلوبي:

يُعرَّف المنهج الأسلوبي إجرائيًا بأنه دراسة العلاقة بين الشكل اللغوي والوظيفة أو التأثير، وهو منهج نقدي ولغوي يهدف إلى الكشف عن السمات المميزة للاستخدام اللغوي في نص معين، سواء كان أدبيًا أو غير أدبي. يرتكز التحليل الأسلوبي على فكرة أن كل اختيار لغوي يقوم به المؤلف (صوتي، صرفي، نحوي، أو معجمي) ليس عشوائيًا، بل يحمل دلالة ووظيفة محددة تسهم في المعنى الكلي للنص وتأثيره على المتلقي. إنه يربط ببراعة بين الجانب الوصفي للغة (اللسانيات) والجانب التفسيري (النقد الأدبي)، مما يجعله أداة محورية لفهم الإنجاز الفردي للغة داخل إطار النظام العام.

يبرز في هذا المنهوم مفهومان أساسيان: أولهما هو الاختيار، الذي يشير إلى تفضيل كاتب أو متحدث لصيغة لغوية معينة على أخرى ممكنة كانت متاحة داخل النظام اللغوي. ثانيًا، يأتي مفهوم الانزياح، وهو البؤرة التي يكشف فيها الأسلوبيون عن الطابع الأدبي للنص؛ إذ يمثل الانزياح خروجًا مقصودًا عن المعيار أو القواعد المتوقعة للغة، سواء كان هذا الانزياح نحويًا أو دلاليًا أو صرفيًا، وينتج عنه تأثير جمالي أو وظيفي بارز. وكما يذكر جيفري ليتش ، "الأسلوب هو الشكل اللغوي الذي يخدم وظيفة"، مما يؤكد أن الغاية ليست مجرد وصف البنى اللغوية، بل تفسير كيف تساهم هذه البنى في إحداث تأثيرات معينة (من المرجع الأساسي.

ثانيا-الأسلوبية وتحليل الخطاب

إن المزاوجة بين المنهج الأسلوبي وتحليل الخطاب ضرورة منهجية، تتجاوز النظر إلى الأسلوبية كأداة لتحليل النصوص الأدبية الخالصة. فالأسلوبية، في جوهرها، تدرس الاختيارات اللغوية الوظيفية، مما يجعلها جسرًا لفهم كيف يُبنى الخطاب السياسي، الإعلامي، أو الإعلاني، وكيف يؤدي وظيفته الإقناعية والتأثيرية .هي لا

تكتفي بوصف "ما قيل"، بل تفسر "كيف قيل" ولأي غرض، مركزة على الكيفية التي يعكس بها التركيب اللغوي للقوة الأيديولوجية أو الاجتماعية الكامنة خلف الخطاب.

يؤكد هذا الدمج على أن المكون الأسلوبي للخطاب هو جزء لا يتجزأ من تأثيره الاجتماعي والنفسي .ففي تحليلها النقدي للخطاب، يرى نورمان فيركلو وتيون فان دايك أن الاختيارات الأسلوبية (مثل استخدام ضمائر معينة، أو تفضيل مفردات تقييمية) هي آليات فعالة لبناء الهويات الاجتماعية أو تمرير الرسائل الضمنية. إذًا، فالأسلوبية تمد تحليل الخطاب بالأدوات الدقيقة لتحليل الطبقة اللغوية الدقيقة، مما يكشف عن الآليات العميقة التي يستخدمها المتحدث/الكاتب للسيطرة على المتلقي وتوجيهه، وهو ما يُعرف بـ "الممارسة اللغوية للسلطة" من أعمالها عن الخطاب والسلطة والأيديولوجيا.

ثالثا-مرجعيات المنهج الأسلوبي ورواده

يعود الفضل في تأطير المنهج الأسلوبي وربطه بالتحليل اللغوي إلى مجموعة من الرواد الذين أسسوا له مرجعية صلبة، أبرزهم:

-**شارل بالي** تتركز إسهاماته الرئيسية حول وضع أسس علم الأسلوب كفرع مستقل ضمن اللسانيات، حيث قام بالتمييز بين الجانب التعبيري العاطفي للغة، الذي يُعد مجال الأسلوبية، والجانب التواصلي المعتاد. أكد بالي أن الأسلوبية تدرس الوظيفة التعبيرية للعلامات اللغوية وكيف تعكس أحاسيس المتكلم ومواقفه، لا سيما في اللغة الفرنسية. من أهم أعماله: بحث في علم الأسلوب الفرنسي (1902) "و"الأسلوبية الفرنسية(1910-1909)"، بالإضافة إلى كتابه "اللغة والحياة" الذي يعد مرجعًا أساسيًا في هذا المجال.

-**رومان ياكوبسون:** والذي أكد على الوظيفة الشعرية للغة، معتبرًا الأسلوبية جزءًا من علم اللغة الذي يدرس المعادلة اللغوية نفسها. كما أسهم

- **ليو سبيتزر:** بتركيزه على العلاقة بين الملامح اللغوية الفردية والـ "إيتوس" الخاص بالكاتب، في إرساء فكرة أن الأسلوب هو انعكاس للروح الإبداعية، مما فتح الباب لتطبيقات منهجية في تحليل الخطاب والنصوص الأدبية على حد سواء.

-**مايكل ريفاتير:** يُعدّ من الرواد الأساسيين الذين نقلوا الأسلوبية نحو تحليل التأثير على القارئ، حيث ركز على فكرة "اللحظات اللافتة" التي تحقق الانزياح وتلفت انتباه المتلقي، وهذا المفهوم له تأثير مباشر في التحليل الخطابي لفهم كيفية توجيه الاستجابة العاطفية والفكرية للجمهور. إن أفكار هؤلاء الرواد، التي تمزج

بين البنية اللغوية (ياكوبسون)، والسياق النفسي/الثقافي (سبيتزر)، والتأثير الجمالي/التواصلي (ريفاتير)، تشكل مجتمعة الأساس النظري القوي الذي يُعتمد عليه في تحليل أساليب بناء الخطاب وتأثيره الإقناعي.

رابعا-مستويات التحليل الأسلوبي:

يعتمد التحليل الأسلوبي المنهجي على تقسيم النص إلى مستويات لغوية متدرجة، يتم فحص كل منها للكشف عن الأنماط الأسلوبية والوظائف التعبيرية:

- **المستوى الصوتي/الإيقاعي:** يركز على دراسة الأصوات (الصوامت والصوائت)، التقطيع العروضي، الجناس، السجع، والتناغم الإيقاعي؛ حيث تساهم هذه العناصر في خلق جو النص وتأثيره العاطفي أو الدلالي، وهو ما يطلق عليه رومان ياكوبسون الإسقاط من محور الاختيار إلى محور التجميع.
- **المستوى الصرفي/الاشتقاقي:** يهتم بفحص الوحدات الصغرى للغة (الصيغ الصرفية، الاشتقاق، وتكوين الكلمات)؛ للكشف عن الأنماط التعبيرية مثل الإفراط في استخدام صيغ الفاعل أو المبالغة، أو ميل الكاتب إلى استخدام الأسماء على حساب الأفعال.
- **المستوى المعجمي/الدلالي:** يختص بدراسة المفردات المختارة (القاموس)، والتراكيب الدلالية، كالترادف، التضاد، والحقول الدلالية، مع التركيز على الكثافة اللفظية ونوع المفردات (عامية/فصحى، تقنية/شعرية) لتحديد درجة رسمية النص أو موضوعيته.
- **المستوى النحوي/التركيبي:** يتناول بنية الجملة وأنماطها، مثل طول الجمل وقصرها، استخدام الجمل الفعلية أو الاسمية، التقديم والتأخير، ونوع الروابط النحوية؛ حيث تعكس هذه الاختيارات درجة تعقيد الأفكار أو بساطتها.
- **مستوى الخطاب/النص:** وهو المستوى الأوسع الذي يدرس كيفية ترابط الجمل والفقرات (السبك والحبك)، وتنظيم النص ككل (الافتتاحية، الخاتمة)، والوظيفة التداولية للخطاب (الإقناع، الوصف، السرد)، وهو ما يربط الأسلوبية بتحليل الخطاب كما أشار إلى ذلك جيفري ليتش.

خامسا-الإجراءات المنهجية للتحليل الأسلوبي

يعتمد التحليل الأسلوبي الناجح على خطوات منهجية دقيقة تضمن الانتقال المنطقي من الوصف اللغوي إلى التفسير النقدي والتأويلي:

تحديد الانزياح: عزل وتصنيف الملامح الأسلوبية التي تخرج عن التوقع أو المعيار اللغوي.

يتم في هذه المرحلة رصد كل ملمح لغوي (صوتي، نحوي، معجمي) لا يتوافق مع الاستخدام المألوف أو "المعيار" المتوقع لذلك النوع من الخطاب، مثل التقديم والتأخير غير المعتاد أو استخدام مفردات قديمة في سياق حديث. وكما يرى جيفري ليتش، فإن الانزياح هو أحد الوسائل الأساسية التي يمكن من خلالها التعرف على الأسلوب لأنه يجذب انتباه القارئ.

ربط الانزياح بالوظيفة: ماذا حقق هذا الاختيار الأسلوبي في سياق هذا الخطاب؟

بعد تحديد الملمح المنزاح، لا بد من تفسير وظيفته الدلالية أو التعبيرية، أي الكشف عن الأثر الذي أراد الكاتب إحداثه، سواء كان التركيز على فكرة معينة، أو خلق جو عاطفي، أو بناء صورة ذهنية محددة. فالوظيفة هي التي تمنح الاختيار الأسلوبي مبرره التحليلي، كما يقول رومان ياكوبسون: "الوظيفة الشعرية تركز على الرسالة لذاتها."

التأويل الخطابي: الانتقال من الوصف اللغوي إلى تفسير دلالته الاجتماعية/التداولية. تمثل هذه الخطوة القفزة النوعية من التحليل اللغوي إلى النقد، حيث يُربط الأثر الأسلوبي المُكتشَف بالسياق الاجتماعي والثقافي، لتفسير كيف يسهم الأسلوب في تحقيق الوظيفة الإقناعية أو تمرير أيديولوجيا معينة ضمن الخطاب. ويعتبر هذا الإجراء أساسيًا في تحليل الخطاب النقدي الذي يربط اللغة بالسلطة والمجتمع.